رابط المادة على منصة باحث

تفسير ابن كثير | شرح الشيخ عبدالرحمن العجلان | 41- سورة البقرة | من الأية 61 إلى 81

عبدالرحمن العجلان

لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين وبعد اعوذ بالله من الشيطان الرجيم اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله - 00:00:00

بنورهم ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون بكم عمي فهم لا يرجعون هذه الايات الكريمة من صدري سورة البقرة في صفات المنافقين التي ابتدأها الله جل وعلا بقوله - 00:00:41

ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين امنوا وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون الى قوله جل وعلا واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا - 00:01:16

انا معكم انما نحن مستهزئون. الله يستهزئ بهم. ويمدهم في طغيانهم يا مهون اولئك الذين اشتروا الظلالة بالهدى تجارتهم وما كانوا مهتدين الايات اولئك اسم اشارة والاشارة الى من تقدمت - 00:01:44

صفاتهم اسم الاشارة هذا للبعد ويأتي اسم الاشارة للبعد تكريما ويأتي اهانة وانحطاطهم وبعدهم عن رحمة الله اولئك هؤلاء المتصفون بهذه الصفات اشتروا الظلالة بالهدى اشتروا في بيع وشراء نعم - 00:02:20

المرء يتاجر مع ربه جل وعلا وهو يقدم الاعمال الصالحة ويعطيه الله جل وعلا على الحسنة عشر اضعافها الى سبع مئة ضعف الى اضعاف كثيرة. والله يضاعف لمن يشاء مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله - 00:03:04

كما ذل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة والله يضاعف لمن يشاء من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها هؤلاء اشتروا الظلالة - 00:03:38

اعتاضوا في الظلالة عن الهدى كانهم عرض عليهم الامران عرض عليهم الهدى وعرضت عليهم الضلالة واختاروا واخذوا الضلالة فهم اخذوا شيء وتركوا شيء كانهم اخذوا هذا ودفعوا ثمنه ذاك فهم رغبوا في الظلالة - 00:04:09

عن الهدى فاخذوها وتركوا الهدى واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى. يعني عرض عليهم الامران دلهم الله جل وعلا وارشدهم الى طريق السلامة لكنهم تركوه واخذوا الثاني اشتروا الظلالة بالهدى - 00:04:46

دفعوا الهدى ثمنا واخذوا الضلالة والظلالة العمى والغي والبعد عن الحق والهدى الاستقامة والصلاح والطريق الموصل الى الله جل وعلا والى رضوانه وهم تركوا شيئا واخذوا شيئا اخر بدله فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين - 00:05:23

البائع والمشتري لا يخلو اما ان يربح يأتيه زيادة على رأس المال او يأتيه رأس المال فقط او يخسر والعياذ بالله والخسارة النقص عن رأس المال والربح الزيادة في رأس المال - 00:06:02

هؤلاء بهذه الصفقة مع الله جل وعلا خسروا خسارة عظيمة عرض لهم طريق السلامة والصلاح والهداية والطريق الموصل الى الجنة وتركوه واخذوا الطريق الموصل الى النار فهم خيروا بين امرين واضحين جليين - 00:06:30

تركوا واحد واخذوا الاخر لو اخذوا طريق الهدى ربحوا ربحا عظيما لان مآلهم الى الجنة ومضاعفة الحسنات الحسنة بعشر امثالها الى اضعاف كثيرة لكنهم تركوا هذا واخذوا الغي والضلال فخسروا خسارة عظيمة - 00:06:59

ما اتاهم رأس المال اولى لك ولا عليك. وانما هلكوا واهلكوا انفسهم كما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين. ما كانوا على الهدى حينما

اختاروا هذا الطليق لو كانوا على الهدى وعلى الخير وعلى الاستقامة - 00:07:26
نختار الطريق الموصل الى رضوان الله جل وعلا والى جنته والله جل وعلا هدى العباد يعني دلهم وارشدهم وبين لهم طريق الخير وطريق الشر ووهبهم العقول والتمييز والتصريف بين الامور - 00:07:56
هداه النجدين طريق الخير وطريق الشر. هداه بمعنى دله وارشده فالمؤمن وفقه الله جل وعلا للاخذ بطريق الهدى وسار على الصراط المستقيم الموصل الى رضوان الله وجنته والشقي الفاجر والمنافق والعياذ بالله والكافر اختاروا طريق الضلال وطريق الغواية وطريق الهلاك - 00:08:18
فتركوا طريق الحق واخذوا بالطريق المهلك اولئك الذين اشتروا الظلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم. وما كانوا في هذا الاختيار مهتدين ما كانوا موفقين ما كانوا سائرين على الحق ما كانوا سائرين على الطريق الموصل الى النجاة - 00:08:49
والنبي صلى الله عليه وسلم لما اتاه صهيب الرومي رضي الله عنه قبل ان يصل اليه وهو مقبل قال ربح البيع ابا يحيى ربح البيع ابا يحيى جاء الى المدينة مهاجرا رضي الله عنه وارضاه - 00:09:20
ما كان معه تجارة وما جاء ببضاعة الى المدينة ليبيعها او يبيعها بالطريق ولكنه اشترى نفسه واشترى الايمان بدل الضلال والهداية بكل ما يملك رضي الله عنه لما اراد رضي الله عنه ان يهاجر - 00:09:47
من مكة الى المدينة بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم اراد ان يلحق بالنبي عليه الصلاة والسلام ودفن ماله لانه ما يستطيع ان يأخذه معه وكان غني ذا مال - 00:10:11
ودفنه في بيته حتى يكون له فيه نظر رضي الله عنه وخرج مهاجرا فاعترض له كفار قريش الى اين الى الله ورسوله قالوا لا والله لا تفجعنا بنفسك ومالك. اتيتنا فقير واغناك الله عندنا - 00:10:27
فما يمكن ان نتركك تهاجر بنفسك ومالك قال ارأيتم ان تركت لكم مالي تتركونني اهاجر؟ قالوا نعم اذا اعطيتنا مالك اذن لك بالهجرة تذهب كيف شئت قال هو في المكان الفلاني في كذا - 00:10:54
فدلهم عليه رضي الله عنه بالوصف وتركوه خلوا سبيله لانهم يعرفونه رضي الله عنه لا يكذب دعا تركوه يسير الى المدينة وذهبوا الى المال فوجدوه في المكان الذي ذكر لهم - 00:11:22
فسبقه القرآن النبي صلى الله عليه وسلم فلما اقبل على النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد مسلما قال ربح البيع ابا يحيى. ربح البيع ابا يحيى. انه صهيب رضي الله عنه كان يكنى بابي يحيى - 00:11:40
انزل الله جل وعلا في حقه ومن الناس من يشتري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف وهو اشترى نفسه وايمانه رضي الله عنه بكل ماله فمن اعتاب بشيء عن شيء فقد باع - 00:12:03
لان البيع مبادلة تشتري تأخذ شيء وتعطيه بدله وصهيب اشترى نفسه وايمانه بماله كله رضي الله عنه واولئك اشتروا الظلالة واخذوا الظلالة وتركوا الهدى والاستقامة على الحق. تركوها فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين. والتجارة هي حرفة التاجر - 00:12:29
ووظيفة والربح والخسارة الى التجارة لما بينهما من المقارنة والا فالرابح العامل والمتاجر والخاسر هو واسند الله جل وعلا الربح الى التجارة على ما يقول العرب ربحت بيعتك وقال النبي صلى الله عليه وسلم - 00:13:04
صهيب ربح البيع يعني الصفقة التي اجريتها مع الكفار صفقة رابحة فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين. ما كانوا على هدى وعلى حق. والهدى خلاف الضلالة. لانهم هم او الضلالة وترك الهدى - 00:13:29
فلو كان عندهم شيء من الهدى لاتخذوا ما ينفعهم في الدنيا والاخرة وتركوا ما هم عليه من الكفر والضلال لان الكفر والضلال ماله الى النار والعياذ بالله والهدى والاستقامة ما له الى الجنة - 00:13:54
فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ما كانوا موفقين رابحين في هذه الصفقة التي اجروها نعم اقرأ قال السدي رحمه الله في تفسيره عن ابي مالك وعن ابي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن مرة عن ابن مسعود وعن - 00:14:12

ناس من الصحابة رضي الله عنهم اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى قال اخذوا الضلالة وتركوا الهدى وقيل عن ابن عباس اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى اي الكفر بالايمان وقال مجاهد امنوا ثم كفروا - 00:14:36

وقال قتادة استحبوا الضلال تركوا الايمان لان كان معهم الايمان وتركوه فيجوز انهم كانوا مؤمنين من قبل وارتدوا عن الايمان والعياذ بالله. ويجوز انهم خيروا بين امرين كما قال الله جل وعلا - 00:14:56

فاستحبوا العمى على الهدى عن قومي واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى يعني ما كانوا على الهدى وان انما خيروا بين امرين فاخذوا واحد وتركوا الاخر اختاروا الظلالة على الهدى - 00:15:16

نعم وحاصل قول المفسرين فيما تقدم ان المنافقين عدلوا عن الهدى الى الضلالة واعتادوا عن الهدى بالضلالة قد حصل له وسواء في ذلك من كان منهم قد حصل له الايمان ثم ردع عنه الى الكفر. كما قال تعالى فيهم ذلك بانهم - 00:15:35

امنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم او انهم استحبوا الضلالة على الهدى كما يكون حال فريق اخر منهم فانهم انواع واقسام ولهذا قال تعالى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين اي اي ما ربحت صفقتهم في هذه البيعة وما كانوا مهتدين اي راشد - 00:15:59

في صنيعهم ذلك واخرج ابن جرير عن قتادة قال قال والله رأيتموهم خرجوا من الهدى الى الضلالة ومن الجماعة الى الفرقة ومن الامن الى الخوف ومن السنة الى البضعة الى البدعة. وهكذا رواه ابن ابي حاتم من حديث يزيد - 00:16:21

مثلهم كمثل الذي استوقد نارا يمثلهم جل وعلا بمثل واضح بين محسوس والمثل تشبيه قول او فعل بقول او فعل يوضح احدهما الاخر هؤلاء المنافقون خيروا بين امرين فاختاروا احدهما - 00:16:40

احتاروا العمى اختاروا الضلالة وتركوا الهدى والاستقامة مثلهم يشبه الله جل وعلا المثل الشيء بشيء اخر اوظح منه او المعنوي بشيء محسوس والله جل وعلا يضرب الامثال في القرآن بكثرة لزيادة التوظيح - 00:17:20

وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون كان بعض السلف رحمة الله عليه اذا مر بمثل فلم يدركه بكى على نفسه انهما ليس بعالم وليس عنده علم لو كان عنده علم ادرك المراد - 00:17:49

وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها يعقل الامثال ويدركها والامثال كثيرة في القرآن وكثيرة في السنة يمثل النبي صلى الله عليه وسلم الشيء بشيء اخر حتى يتضح وكثير في ايات القرآن امثلة - 00:18:12

مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة يقال للمرء مثلا اذا انفقت ما لك في سبيل الله يضاعف يضاعف هذي فيها بشارة وفيها خير - 00:18:34

لكن اذا قيل مثلهم مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة. يعني شيء محسوس. حبة وضعت في الارض انبتت هذه الحبة سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة يعني الحبة الواحدة - 00:18:55

جاءوا بها سبع مئة حبة الصاع بسبع مئة صاع الكيلو بسبعمائة كيلو وهكذا والله يضاعف لمن يشاء يزيد هذا مثل يقرب فالامثال في القرآن كثيرة تشبيه امر بامر لزيادة توضيحه - 00:19:15

او تشبيه شيء معنوي بحسي او حسي بمعنوي حتى يدرك قوة مكانة هذا الشيء الذي يراد توضيحه مثلهم كما تلي الذي استوقد نارا مثلهم مثل من استوقد نار يوقد نار - 00:19:43

مثلهم في حالهم واظهارهم الاسلام وسلامتهم في الدنيا مثل من استوقد نار استوقد نار قال عنها جل وعلا نار ولم يقل ضوء ولم يقل نور وانما استوقد نار لان النار - 00:20:14

لها مصالح ولها مضار بخلاف النور والضياء هذا مصلحة وخير لكن النار لها اضاءة نافعة ولا هي احراق ضار والعياذ بالله مثلهم كمثل الذي استوقد نارا استوقد بمعنى او قد - 00:20:41

او قد نار الشين والتاء حرفان مزيدان في او قدا استوقد نارا هذه النار اضاءت ما له ما حوله يستفاد منها نظر ما حوله وعرفه ثم بعد قليل طفأت فذهب الظوء - 00:21:09

وبقي الاحراق والدخان والظرر هم في الدنيا بمثابة ايقاد النار وضوئها مع المؤمنين ويجلسون معهم ويتصدرون المجالس ويشاورون

ويدرون برأيهم وحقنوا دماءهم واموالهم ويسلم عليهم ويعطون من المغانم ومثلهم مثل المؤمنين سواء بسواء - 00:21:42
او ربما بعضهم يقدم لزعامته مكانته في قومه كعبد الله ابن ابي ابن سلول كان كانوا قد تهيأوا لتتويجه وتمليكه عليهم وهو رأس المنافقين وهذا شيء بسيط مهما اعطوا واتوا في الدنيا - 00:22:22
وتصدروا المجالس وابدوا الراعي وتكلموا في الامور الهامة ونحو ذلك هذا كله يسير ليس بشيء انه كما جاء في الحديث يؤتى بانعم اهل الدنيا فيغمس او يصبغ في النار صبغة - 00:22:52
فيقال له هل رأيت خيرا قط؟ فيقول لا والله ما رأيت خيرا قط لان النار هذه انسته كلما مضى ويؤتى باشد الناس بؤسا في الدنيا من اهل الجنة. فيصبغ في الجنة صبغة فيقال له هل مر بك - 00:23:17
كسوء قط يعني هل مر بك ضيق حاجة فخر رأيت بؤس يقول لا والله ما نسي كل ما مضى فهؤلاء اضاءت لهم النار اضاءة بسيطة حتى مهما كان عمر الانسان - 00:23:38
لو سبعين سنة او ثمانين سنة او مئة سنة فهي لا شيء بالنسبة للاخرة مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله يعني استفاد منها بالاضاءة ذهب الله بنورهم - 00:23:59
ذهب زال بالكلية والمرء اذا كان في نور ثم ذهب النور تكون الظلمة عليه اشد والعياذ بالله اشد ممن كان اصله من اول حاله في الظلمة ان الظلمة بعد النور - 00:24:24
ظلام حالك ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات. يتخبطون ليس الظلمة واحدة ظلمات بعضها فوق بعض وتركهم في ظلمات لا يبصرون. لا يرون شيئا فهذا مثل المنافقين. المنافق في حال الدنيا كواحد من المسلمين - 00:24:53
او ربما يقدم على كثير منهم لكن بعد الدنيا متى حينما يموت وتتولاه ملائكة العذاب حينما يكون في القبر ويأتيه عذاب القبر وهذا ابو القبر حق حينما يكون في عرصات القيامة - 00:25:31
وتقسم الانوار وتعطى الانوار لاصحابها من المؤمنين ويعطون نورا بسيطا في اول الامر ثم يطفأ ينادونهم الم نكن معكم؟ قالوا بلى كنتم معنا في الدنيا في مجالسنا يشاوركم ونأخذ برأيكم - 00:25:56
ينطفئ النور في ذلك الموطن فيكونون في ظلمة حالكة وكما تقدم احوال يوم القيامة ما تقاس بالدنيا الدنيا لو كان واحد معه نور قوي يستفيد منه كثير من الناس لكن في الاخرة نور المرء لنفسه فقط - 00:26:28
والانوار تتفاوت بحسب الايمان منهم من نوره مد البصر ومنهم اخرهم من نوره على ابهامه يضيء مرة ويطفى مرة ومنهم من يعطى النور ثم يسلب بالكلية والعياذ بالله وهم هؤلاء المنافقون - 00:27:02
وتركهم في ظلمات لا يبصرون. لا يرون ما حولهم. تصور هذا المثل كيف حال المرء اذا في فلاة من الارض وفيها الحفر والجبال وفيها الهوام والسباع والمهلكات كان معه نور ينظر ما حوله - 00:27:29
ثم انطفأ هذا النور فتجمعت عليه الوحوش والحشرات الزواحف والسباب تريده وهو لا يبصر ولا يرى ولا نور ولا بيان وتركهم في ظلمات لا يبصرون ثم بين جل وعلا وصفه فقال صمم بكم عمي فهم لا يرجعون - 00:27:56
يقال مثل ومثلي ومثيل ايضا والجمع امثال قال الله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يأكلها الا العالمون وتقدير هذا المثل ان الله سبحانه شبههم في ابتلائهم الضلالة بالهدى وسيلورتهم بعد البصيرة الى العمى بمن استوقد نارا - 00:28:25
فلما اضاءت ما حوله وانتفع بها وابطل بها مع يمينه وشماله وتأنس بها فبين هو كذلك اذ طفأت ناره وصار في ظلام شديد لا يبصر ولا يهتدي وهو مع هذا اصم لا يسمع ابكم ولا ينطق انا لو كان ضياء لما ابصر. فلهذا لا يرجع - 00:28:53
الى ما كان عليه قبل ذلك فكذلك هؤلاء المنافقون في استبدالهم الضلالة عوضا عن الهدى واستحبابهم الغي على الرشد وفي هذا المثل دلالة على انهم امنوا ثم كفروا كما اخبر تعالى عنهم في غير هذا الموضع - 00:29:13
وزعما ابن دليل ان المضروب لهم المثل ها هنا لم يؤمنوا في وقت من الاوقات واحتجوا بقوله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر وما هم المؤمنين والثواب ان هذا اخبار عنهم في حال نفاقهم وكفرهم. وهذا لا يبدو انه كان حسن لهم ايمان قبل ذلك

ثم سلبوه - 00:29:31
وطبعا على قلوبهم ولم يستحضر ابن جرير هذه الاية ها هنا وهي قوله تعالى ذلك بانهم امنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم لا يفقهون. ثم بكم عمي فهم لا يرجعون. الاصم - 00:29:51
الذي لا يشبع بكم لا يتكلم عمري لا يبصرون يعني فقدوا هذه الحوائج وليس المراد الحواس الحسية. فهم يسمعون النداء لكن ما يسمعون الحق ويتكلمون لكن ما يتكلمون بالحق ويبصرون باعينهم. لكن لا يميزون بين الحق والباطل - 00:30:10
فالاصم الذي لا يسمع والابكم وقيل الاخرس الذي لا يتكلم لكن يميز لان بعض من اصيب بالخرس ما بالاشارة يفهم ويفهم مثل الكلام فالابكم الذي لا يفهم ولا يتكلم ما يفهم اشارة ولا يتكلم - 00:30:54
صم بكم عمي العمى يكون في البصر ويكون في البصيرة والاشد هو عمى البصيرة والعياذ بالله والا عمى البصر قد يصاب به بعض الناس فيكون قدوة للاخرين وهو اعمى ينير للناس الطريق وهو اعمى - 00:31:41
بعلمه وتنوير بصيرته وعمل بصيرة اشد كما قال الله جل وعلا فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور. فعمى القلب هو المصيبة العظمى ذكر الله جل وعلا حال هؤلاء بانهم بهذه الصفات السيئة - 00:32:10
ابتلوا بها لاعمالهم الخبيثة والاعتقاداتهم السيئة صم بكم عمي فهم لا يرجعون. لا يرجعون عما هم فيه ولا يتنورون ولا يستفيدون وغير قابلين للحق اطلاقا وقال بعضهم تقدير الكلام مثل كستهم كقصة الذي الذين استوقدوا نارا - 00:32:45
وقال بعضهم المستوقد واحد لجماعة معه وقال اخرون الذي ها هنا بمعنى الذين قلت وقد التفت في اثناء المثل من الواحد الى الجمع في قوله تعالى فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في - 00:33:22
لا يبصرون. صم بكم عمي فهم لا يرجعون وهذا افصح في الكلام وابلغ في النظام وقوله تعالى ذهب الله بنورهم اي ذهب عنهم بما ينفعهم وهو النور وابقى لهم ما يضرهم وهو الاحراق والدخان - 00:33:41
وتركهم في ظلمات وهو ما هم فيه من من الشك والكفر والنفاق. لا يبصرون لا يهتدون الى سبيل خير ولا وهم مع ذلك صم لا يسمعون خيرا. بكم لا يتكلمون بما ينفعهم. عمي في ضلالة وعماية البصيرة. كما - 00:33:59
قال تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور. فلهذا لا يرجعون الى ما كانوا عليه من الهداية التي بالضلالة والله اعلم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد - 00:34:19
وعلى اله وصحبه اجمعين - 00:34:38